الدرس الخامس والعشرون

النظر إلى التأديب كفائدة إيجابية

عبرانيين ١٢:١-١٣

١. مقدّمة

يقدّم الأصحاح الحادي عشر صورة رائعة للعقلية التي يتوجب أن نتحلّى بها، وهي عقلية *تكريس للاحتمال الصبور بالإيمان*. ومن الواضح أن الكاتب دوّن هذا الأصحاح وفي ذهنه جمهوره، وهو نفس الجمهور البليد وغير الناضج (٥:١١-١٢) والمعرّض لخطر المغامرة "براحته" الأخروية وبفرصة الحكم مع المسيح. أمّا الأصحاح الثاني عشر، فمكتوب لمساعدتهم في فهم قيمة الامتحانات والآلام التي يتعرضون لها بين حينٍ وآخر (التأديب)، ولتحذيرهم مرة أخرى من خطر رفض رسالة الرسالة إلى العبرانيين.

أدخلنا الأصحاح الحادي عشر إلى الوحدة الثالثة والنهائية من وحدات هذه الرسالة. وتنقسم هذه الوحدة إلى أربعة أقسام رئيسية:

أ. نماذج الإيمان (١١:١-٤٠)

ب. فائدة التأديب في الحياة المسيحية (١٢:١-١٣)

جـ. تنبيه أخير بضرورة الوفاء للعهد الجديد (١٢:١٤-٢٩)

د. "ذبائح" العهد الجديد التي يجب تقديمها (١٣:١-١٧)

٢. فائدة التأديب في الحياة المسيحية (١٢:١-١٣)

يقسم هذا القسم إلى ثلاثة أجزاء: (١) الآيات ١-٣ التي تحمل دعوة إلى الاحتمال الصبور؛ (٢) الآيات ٤-١١ التي تحمل تعليمات وإرشادات حول القيمة الإيجابية للتأديب؛ (٣) الآيتين ١٢-١٣ اللتين تحملان دعوة إلى الاستجابة بخضوع للتأديب وإلى مساعدتهم أحدهم الآخر.

أ. دعوة إلى الاحتمال الصبور (١٢:١-٣)

يشبّه الكاتب رحلة الحياة المسيحية بسباق يجب أن *يجري فيه المؤمن باحتمال صبور*. ومن الواضح أن هذه الفكرة مرتبطة بخاتمة الأصحاح العاشر.

١٠:٣٢-٣٩- الحاجة إلى الاحتمال الصبور للحصول على المكافأة (شريطة الإيمان)

١١:١-٤٠- أمثلة من رجال الله الذين "حصلوا على استحسان الله (شهد الله لهم) بالإيمان فأمكنهم توقُّع وانتظار المكافأة/الوعد.

توصف شخوص العهد القديم في الأصحاح الحادي عشر بصفتها "سحابة من الشهود... محيطة بنا." وينبغي على القرّاء أن يحاولوا أن يتخيلوا كما لو أنهم موجودون في وسط "ملعب أولمبي" يقف فيه أبطال الإيمان العظام هؤلاء لمراقبتهم. لقد كان لهؤلاء الأبطال وقتهم الذي ركضوا فيه على الملعب وها قد حان الآن دور قرّاء الرسالة. غير أنه ليس كافياً أن نقلّد إيمانهم. فقد يشكل هؤلاء مصدر إلهام ومثالاً صالحاً لنا، لكن ينبغي أن يكون موضوع تركيزنا هو يسوع المسيح نفسه (الآية٢). لهذا ينبغي أن تثبّت عيوننا عليه، فهو "قائد" إيماننا و "مكمّله." وتوحي كلمة "قائد" (ἀρχηγὸν- انظر ٢:١٠) بأن يسوع كان "رائد" سبيل الإيمان الذي يتوجب على المؤمنين به أن يسلكوه."[١]

وحين يلفت الكاتب انتباهنا إلى يسوع، فإنه يوضح ثلاثة أمور:

(١) احتمل الصليب

احتاج يسوع أيضاً إلى الاحتمال الصبور، وكان ذلك احتمالاً صبوراً عظيماً... صليب الجلجثة. ليس الاحتمال الصبور أمراً هيّناً، لكن ربّنا لم يعفِ نفسه منه. وكان الاحتمال الصبور الذي توجّب عليه أن يمر به، في واقع الأمر، أعظم بكثير من أي شيء يمكن أن نُدعى أنا وأنت إلى احتماله. ولم يكن هذا الاحتمال الصبور مقصوراً على المجال الجسدي، بل امتدّ أيضاً إلى المجال الرّوحي (حيث انفصل عن الآب لكي يحمل خطيتنا).

(٢) استهان بالخزي (احتقر العار)

في طاعة المسيح لإرادة الآب، كان عليه أن يعاني أكثر معاناة مخزية ممكنة لابن الله. لقد واجه قرّاء الرسالة العار والإذلال أيضاً (خاصة من المجتمع اليهودي غير المؤمن)، غير أنهم لم يكونوا وحيدين في ذلك. إذْ لم يسمح يسوع "للعار" بأن يثنيه عن عمل الصواب.

(٣) جلس عن يمين الله

يشكل هذا تلميحاً آخر إلى مزمور ١١٠:١ الذي سبق أن أشار إليه الكاتب في عبرانيين ١٠:١٢-١٣. ويذكّرنا هذا بأن ذبيحة المسيح كانت كفّارة كاملة عن خطايانا... إنجازاً تمّ مرةً واحدة حاسمة نهائية. ولهذا فإن العودة إلى العهد القديم وذبائحه المتكررة في يوم الكفارة أمر عقيم. وتذكّرنا أيضاً فكرة "الجلوس" بأن يسوع كان

[١] Hodges, "Hebrews," *The Bible Knowledge Commentary*, ٨١٠.

وفيّاً لمهمّته وأنه أنجز قصد الله لحياته بشكل كامل. ومن هنا، فإن الله يؤكد له أن نصره مضمون وأن مكافأته هي هذا المصير المنتصر.

لماذا فعل يسوع هذا كله؟ ما الذي دفعه إلى ذلك؟ يقول لنا الكاتب إن هذا كان "من أجل السرور (الفرح) الموضوع أمامه." وتذكّرنا فكرة الفرح بما قيل في عبرانيين ١:٨-٩ حول عرش المسيّا الأبدي، لأن ملكوته سيُمسح بزيت الابتهاج أكثر من رفقائه. ويكتب الرسول بولس أيضاً عن الفرح الذي سيتسم به ملكوت المسيح:

"لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً، بل هو برّ وسلام وفرح في الروح القدس." (رومية ١٤:١٧)

إنها لفكرة مفرحة حقاً أن نفكر في ردّ الخطاة وأن نجعلهم يتبعوننا في طريق الإيمان لكي يشتركوا في نهاية الأمر في حكم النظام المخلوق مع المسيح. لقد تطلعت الرسالة إلى العبرانيين إلى عودة المسيح وتحقيق الخلاص الأخروي (١:١٤؛ ٩:٢٨). وسيكون ملكوت المسيا وقت فرح عظيم حقاً، وحتى يسوع المسيح نفسه تطلّع إلى ذلك الوقت بلهفة. ولهذا يتوجب علينا نحن أيضاً أن نتطلع دائماً إلى نصيبنا في ذلك الفرح الأخروي!

يؤكد الكاتب في عبرانيين ١٢:٣ مسألة الاحتمال الصبور في وجه التجارب والصعوبات، وذلك بتذكير القرّاء مرّة أخرى بأن يسوع واجه عداوة الخطاة. وحين يتأمّل القرّاء هذا الأمر، فإن عزائمهم لن تخور؛ "لئلا تكلّوا وتخوروا في نفوسكم." لنلاحظ مرة أخرى، على سبيل التذكير، أن اهتمام الكاتب هنا ليس بخلاصهم الشخصي من الخطية، بل بقدرتهم على الاحتمال الصبور بأمانة مستقبلاً، وعدم اليأس قبل الوصول إلى الغاية والنهائية.

ب. إرشادات حول قيمة التأديب الإيجابية (١٢:٤-١١)

ينتقل الحديث بدءاً بالآية الرابعة مما مرَّ به المسيح إلى ما يمرّ به القرّاء. قد تكون مسيرة الإيمان المسيحية "شاقة" أحياناً، لكن ذلك ليس إشارة إلى أن المرء خارج إرادة الله أو إلى أن اتّباع العهد الجديد كان غلطة. فكثير من الاختبارات "الشاقة" لمسيرة الإيمان المسيحية هي جزء من تأديب (التدريب على ضبط النفس) الله، وهي مفيدة إذا فهمناها بشكل ملائم واستجبنا لها بطاعة.

١. يجب أن توضع التجارب في منظورها الصحيح (١٢:٤-٦)

على الرغم من أن القرّاء الذين كتب إليهم الكاتب عانوا بالفعل في سبيل إيمانهم المسيحي (١٠:٣٢-٣٤)، إلا أنه يجب أن توضع آلامهم ومعاناتهم في منظورها الصحيح لئلاّ يبالغوا في ردّ فعلهم لهذه المسألة فيتوصلوا إلى استنتاجات خاطئة. ولهذا يلفت الكاتب انتباههم إلى أمرين لكي يعينهم على النظر إلى التجارب من منظور صحيح.

أ. يذكّرهم الكاتب في الآية الرابعة بأنهم، على الرغم من أنهم عانوا وتألموا، إلا أنهم لم يعانوا إلى درجة الاستشهاد في سعيهم لإتمام مشيئة الله. أمّا المسيح فعانى وتألم إلى درجة الاستشهاد في سعيه لعمل إرادة الله. وتذكّرنا "المجاهدة ضد الخطية" بالدعوة إلى التشجيع المتبادل في عبرانيين ١٣:٣ لئلا "يُقَسّى أحد منكم بغرور (خداع) الخطية."[٢]

ب. يذكّرهم الكاتب في الآيتين ٥-٦ بأن *الصعوبات* في الحياة المسيحية ليست بالضرورة في غير محلها. فربما مال القرّاء إلى الاعتقاد بأنهم لو كانوا فعلاً يتبعون إرادة الله بالالتزام بالعهد الجديد والإيمان بيسوع، فإن من المؤكد أنهم سيباركون ولن يتألموا. ومثل هذا استنتاج غير ناضج، إذ يوجد مبدأ روحي أساسي يتمثل في أن الله *يؤدب* أبناءه بدافع المحبة. ولكي يثبّت الكاتب هذه النقطة، فإنه يقتبس من أمثال ٣:١١-١٢ من الترجمة السبعينية. وعلى الرغم من أن التأديب قد يكون أحياناً إشارة إلى عدم رضى الله، فإنه يجب أن ينظر إليه أولاً وقبل كل شيء *كعلامة بنوة*.

تحمل كلمة "تأديب" (παιδεία) معنى *تدريب الطفل* أو تنشئته. ويلفت الكاتب أنظار القرّاء إلى أمثال ٣:١١-١٢، فإنه يذكّر قرّاءه بأنه غالباً ما يجب النظر إلى المتاعب بصفتها مكاناً للتدريب. فنحن نتعلم من خلال هذه الاختبارات دروساً تعيننا على التقدم والنضج في الحياة المسيحية. ولا يؤدّي الخضوع لمثل هذه الاختبارات إلى النضج فحسب، بل يؤدي (بما أن الإيمان والطاعة أمران موجودان في الخضوع الحقيقي) إلى مكافأة في نهاية الأمر أيضاً.

٢. التأديب علامة جيدة (١٢:٧-٨)

أ. في الآية السابعة، يذكّر الكاتب قرّاءه بأنهم "يحتملون من أجل التأديب" (εἰς παιδείαν ὑπομένετε). يبين الكاتب هنا وجود علاقة بين "الاحتمال الصبور" وبين "التأديب". وتتمثل قيمة الاحتمال الصبور في التأديب الذي تتلقاه، أي التدريب. وإذا استسلمنا ولم نحتمل بصبر، فسيفوتنا التأديب-التدريب الذي نحن في أمس الحاجة إليه.

ب. التأديب علامة بنوة، فلا حاجة إلى النظر إليه بصورة سلبية. وربما يكون أو لا يكون التأديب مرتبطاً بالخطية في حياتنا. والغرض من التأديب هو "التدريب"، لكن لا يأتي هذا دائماً بسبب الخطية. لكن قد تجلب الخطية في حياتنا أوقات "تعليم" فنتعلم أن نطيع الله. وعلى أية حال، فإن التأديب شيء

[٢] يعتقد لين أن "الخطية" تشير إلى المقاومة العدائية التي يظهرها الخطاة. غير ان السياق التالي يركّز على افتقارنا إلى البر والقداسة.

يُفترض أن يتوقع كل أبناء الله أن يصيروا شركاء (μέτοχοι) فيه. ويذكّرنا الاستخدام البديعي لكلمة μέτοχοι بأننا إذا كنا شركاء μέτοχοι ليسوع وملكوته الأبدي، فإنه ينبغي أن نكون أيضاً شركاء أو (مشاركين) μέτοχοι في التأديب.

جلب الله في العهد القديم التأديب بسبب العصيان (وكان هذا يسمّى "لعنات" في تث ٢٨–٢٩). ووفق لاويين ١٤:٢٦، تعامل الله مع الشعب بمستويات مختلفة من التأديب. ففي بداية الأمر كان التأديب خفيفاً (مثلاً، حبس الأمطار). لكن إن لم يتحقق ذلك نتيجة مباشرة، كان الله يُنزل بهم تأديباً أكثر قسوة. وفي نهاية الأمر كان ينزعهم من الأرض الموعودة كلّياً ويشتتهم بين الأمم. ويجب أن نتوقع نحن الذين تحت العهد الجديد أن يعمل الله بطريقة مشابهة.

٣. تقدير فوائد التأديب (١٢:٩–١١)

قدّم لنا آباؤنا الأرضيون التأديب، وقد قبِلْنا تأديبهم دون أن نفقد احترامنا لهم. فكم نحتاج بالأحرى أن ننظر باحترام إلى أبينا السماوي. وفضلاً عن ذلك، لم يكن آباؤنا الأرضيون كاملين أثناء ممارستهم تأديبنا، بينما أبونا السماوي كامل. وهو يقدم كل تأديبه بشكل كامل، وله هدف محدد في ذهنه: "لكي نشترك في قداسته."

تطبيق: "عندما ندرك أننا تحت تأديب الرب، يجب أن يكون موقفنا ما يلي: "يا الله، أعنّي على أن أتعلم" (لا على أن أخرج من حالة التأديب فحسب). انظر يعقوب ١:٢ فصاعداً.

يعرف أي رياضي أن عليه أن يتحمل بعض الألم من أجل التفوق في الألعاب الرياضية. وقد يدفع ثمناً من حيث الآلام التي يرتضيها لنفسه وهو يمارس التمارين الرياضية الشاقة لكي يصبح أقوى وأسرع وأكثر مهارة. لكن كل هذا التعب المبذول يؤتي أُكُله في نهاية الأمر. وينطبق نفس المبدأ على المجال الروحي: فنحن نتحمل الألم القصير المدى من أجل الفائدة الطويلة المدى. غير أن الفائدة الطويلة المدى هذه، في هذه الحالة، هي الاشتراك في قداسته والحصول على "ثمر بِر السلام" (ثمار البِرّ المُسالمة). وربما كان هذا ما عناه الكاتب في الآية التاسعة بقوله "فنحيا".

ج. الدعوة إلى الاستجابة بخضوع للتأديب وإلى مساعدة أحدهم الآخر (١٢:١٢-١٣)

لا حاجة إلى اعتبار كلمة "لذلك" (διὸ) علامة على وجود تقسيم رئيسي (أي بداية قسم جديد). لنلاحظ استخدام هذا التعبير في ١٦:١١و ٢٨:١٢ و ١٢:١٣. وغالباً ما يدل هذا على استنتاج مشتق مما سبق. ويبدو أن الآيتين ١٢-١٣ تتناولان الاهتمام والرعاية المشتركين اللذين يجب أن يظهرهما مؤمنو العهد الجديد أحدهم نحو الآخر (قارن ١٣:٣؛ ٩:٦-١٢؛ ١٩:١٠-٢٥). وقد يتعرضون لتجربة الاستسلام تحت التأديب، لكن التشجيع المتبادل سيساعدهم. فنحن نتحمل مسؤولية لا عن أنفسنا فحسب، بل أيضاً عن الآخرين لمساعدتهم- خاصة "البلداء" (لنتذكر ١١:٥ و ١٢:٦).

أمّا ذكر الأيدي المتراخية والركب المخلّعة فيجب أن يُفهم في ضوء الآيات الأولى للأصحاح الثاني عشر حيث استخدمت الصورة المجازية لسباق رياضي لتصوير مسيرة الحياة المسيحية. يقول لين (٤٢٦:٢):

"أوحت فكرة التدريب من خلال الآلام المرتبطة بالتأديب (أي التدريب على ضبط النفس) في الآية ١١ بصورة مسابقة رياضية تتطلب ذراعين متينتين وركبتين قويتين. غير أن أعضاء الكنيسة هناك يتسمون بأذرع مسترخية وركب سقيمة. وتتمثل الاستجابة الملائمة للتأديب الإلهي بعزم مجدَّد على الانشغال في سباق يتطلب جهداً كبيراً. ومن الواضح أن ضرورة الاحتمال الصبور متضمنة في توجيهه الرعوي لهم بالاستعداد للسباق وتشديد الأيدي المسترخية والركب المخلّعة، لهذا ينبغي عليهم أن يواصلوا الجري والتحرك نحو الأمام نحو الهدف دون أي تردد. وهو يناشد المجتمع المؤمن في نهاية الأمر أن يحتملوا بصبر في مجاهدتهم، وأن يظهروا اهتماماً بالأعضاء الأضعف بينهم."

تطبيق: ما أسهل أن نحس بالإحباط والغضب، ونحن نعمل ضمن فريق واحد، من الذين "يتأخرون" أو الذين يؤخّرون البقية. وإن ما يجعل السباق المسيحي مختلفاً هو أن الهدف ليس *الفوز الفردي*. بل علينا أن نهتم بأخوتنا وأن نتأكد أنهم سينجحون جميعاً في عبور خط النهاية!

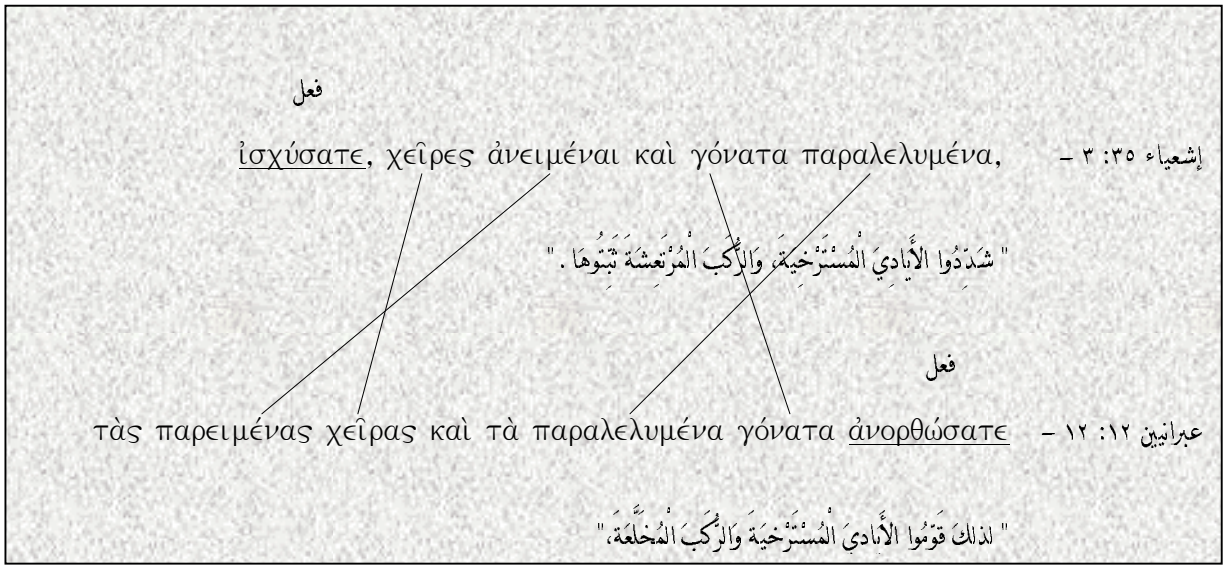

١. يبدو أن الآية ١٢ تلمح إلى إشعياء ٣:٣٥. لنلاحظ أن ترتيب الأشياء المذكورة معكوس وأن موضع الفعل قد تغير من بداية الجملة إلى آخرها.

يأتي إشعياء ٣٥ في سياق البركات الألفية وإصلاح الأمور في الملك الألفي. ففي إشعياء ٣٢ يقال لنا إن المسيّا الملك سيحكم بالبر، بينما يخبرنا في الأصحاح ٣٤ أن دينونة الله ستنزل على الشعوب. ويُقصد بالآيتين ٣:٣٥–٤ أن تكونا كلمات تشجيع، تماماً كما هو الحال في عبرانيين ١٢:١٢. وفي حالة إشعياء ٣:٣٥–٤ يقدَّم التشجيع في ضوء "الخلاص الأخروي" الذي سيلي "يوم انتقام" الرب.

شَدِّدُوا الأَيَادِيَ الْمُسْتَرْخِيَةَ،
وَالرُّكَبَ الْمُرْتَعِشَةَ ثَبِّتُوهَا .
قُولُوا لِخَائِفِي الْقُلُوبِ:
«تَشَدَّدُوا لاَ تَخَافُوا .
هُوَذَا إِلهُكُمُ.
الاِنْتِقَامُ يَأْتِي.
جِزَاءُ اللهِ.
هُوَ يَأْتِي وَيُخَلِّصُكُمْ» .

٢. ربما تكون الآية ١٣ تلميحاً إلى أمثال ٤:٢٦. وإذا كان الأمر كذلك فإننا نجد أنفسنا مرة أخرى أمام قلبٍ لترتيب كلمات الجملة، على الرغم من أن الفعل يبقى في الوسط.

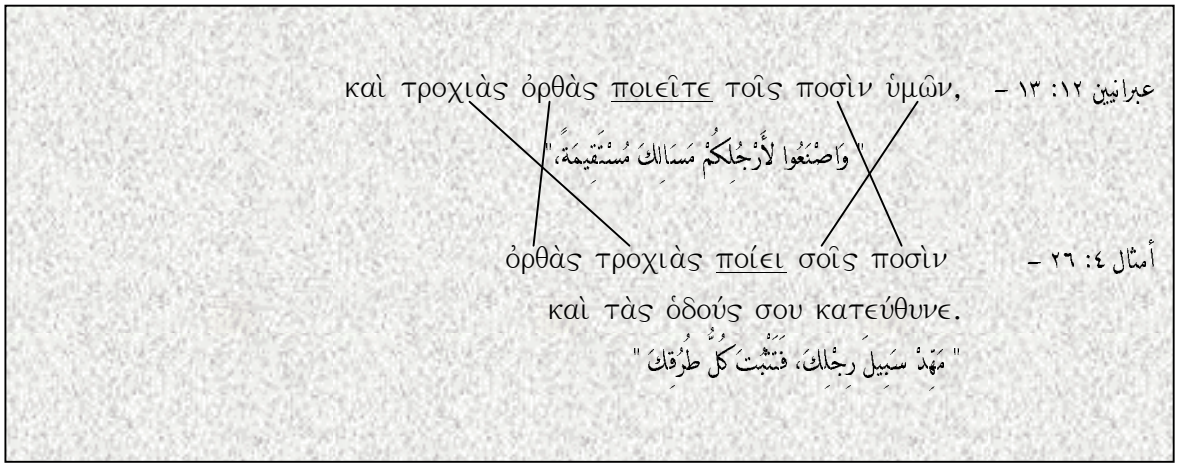

يتناول سياق أمثال ٤:٢٥–٢٧ تركيز الذهن على غرض أوحد هو البقاء في تكريسٍ لإرادة الرب وعمله. وبنفس الطريقة لا يتوجب علينا أن نحيد عن سبيل الوفاء، إذا أردنا أن ننهي سباقنا بنجاح! وبعملنا هذا نساعد الأخوة "العُرج" (أي الأخوة الضعفاء والبلداء) على أن لا يزدادوا ضعفاً. بل يمكنهم أن "يشفوا" (أن يتحركوا نحو النضج والاحتمال الصبور بالإيمان).